Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولنخرج من العصر الفاطمى إلى العصر الأيوبى فنجد هذا العصر – على الرغم مما شاع فيه من جد وحروب صليبية – لا يخلو من عنصر الفكاهة. وقد ألف ابن مماتى – كما سيمرّ بنا – كتاب الفاشوش فى حكم قره قوش تندّر فيه على هذا الحاكم الذى كان يخلف صلاح الدين على القاهرة فى بعض حروبه وغيبته بالشام، والكتاب نثر كله، ولكنه يرينا أن معين الفكاهة لم ينضب فى هذا العصر. وإن من يرجع إلى الشعراء يجدهم يعنون بهذا الجانب، وقد تشبّثوا بفن التورية كما لاحظ ذلك الحموى فى خزانته، ومن أشهر من عرفوا بها القاضى الفاضل وابن سناء الملك، غير أن ما رواه الحموى لهما يدل على غلبة الجانب التعليمى عليهما، ولذلك كانت توريتهما لا تثير فينا الضحك إلا نادرا. وما من ريب فى أن البهاء زهيراً الذى جاء من بعدهما كان أحلى منهما روحا وأخف دما، فقد كان ينحو فى شعره منحى التفكه والتظرف، ولذلك كثرت عنده الأساليب العامية. ومن المقطوعات الفكهة التى تروى له مزحه مع صديق على هذا النمط :

لك يا صديقى بغلةٌ ليست تساوى خَرْدَلَه
تمشى فتحسبها العيو نُ على الطريق مشكّله
وتُخال مدبرةً إذا ما أقبلت مستعجله
مقدار خطوتها الطويـــــــلة–حين تسرع–أنمله
تهتز وهْى مكانهـــا فكأنمـــا هى زلزله

على أن هذه الروح الفكهة لم تتسع فى العصر الأيوبى لانشغال الناس عنها بحروبهم الصليبية، ولكنا لا نتقدم بعد ذلك إلى عصر المماليك ونقرأ فى صفحاته حتى نجد هذه الصفحات كلها تلون بألوان زاهية من الفكاهة والدعابة، وهى ألوان ثبتها رخاء العصر وما شاع فيه من لهو وترف وما تبع ذلك من انتشار النكت والنوادر حتى لنرى ابن سعيد الأندلسى الذى زار مصر فى تلك